

تحقيق فلسفي واجتماعي في روح الاعتقال



بقلم: عبدالرحمن الخالدي...

تخيل مكاناً يتلاشى فيه الخط الفاصل بين الحرية والأسر، حيث يتحول السعي وراء اللجوء إلى كابوس كافكاوي. في 30 نوفمبر/تشرين الثاني، عقدت Grid Orion (وهي منظمة بلغارية غير حكومية) ندوة مهمة ناقشنا فيها محنة اللاجئين وطالبي اللجوء المحتجزين في بلغاريا. وقد تم التركيز على مركز احتجاز هذه. الفوضى من العميق اتّيار المنظمة واجهته وراء يخفي مركز وهو - صوفيا من بالقرب Busmantsi الندوة جرت أعقاب مظاهرة عامة في 17 نوفمبر/تشرين الثاني حظيت بتغطية اعلامية استثنائية، سلطنا فيها الضوء على الحاجة الملحة للمزيد من الانخراط المجتمعي.

وفي حين أن وجهات النظر القانونية والإنسانية غالباً ما تهيمن على المناقشات حول قضايا الهجرة واللجوء، إلا أن هناك سؤالاً فلسفياً أعمق: كيف يمكننا التوفيق بين حرية الروح الإنسانية وحدود السيطرة المؤسسية؟ يتعمق هذا المقال في هذا التقاطع، ملخصاً فصولاً من اختيارات قادمة، وإيماني بأهمية الفلسفة حيث يجب أن تسبق التشريع القانوني، ينصبّ تركيزي على الأبعاد الفلسفية والاجتماعية

للوجود بالنسبة للأفراد الأبرياء غير المدانين - لا سيما تجاربهم المروعة مع محاولات الانتحار وأعمال العنف والاتجار بالمخدرات وتعاطيها نتيجة وجود فراغ فلسفي في رؤية التشريع القانوني تمنع البيروقراطية الحكومية إصلاحه.

بانوبتيكون العصر الحديث:

طوال سنوات اعتقال الثلاث، لم أكتفِ بمشاهدة الظروف التي يتراجع فيها الأمل وينتشر اليأس حيث تبدو هذه التأثيرات بديهية من النظرة الأولى، لكن وبشكل أعمق عايشت بشكل مكثف التدهور المنهجي لصحة المحتجزين النفسية والجسدية وشهدت عن كثب الواقع القاسي للحياة داخل الجدران. منذ أن بدأ احتجاري في أكتوبر 2021، رأيتُ كيف تتم عمليات التجريد المنهجي لهوية السجناء وأملهم. وقد سبق تصوير هذا النموذج بشكل واضح ودقيق من خلال تحليل إرفنغ غوفمان لـ "المؤسسات الكلية - institutions Total"، والذي أراه حجر الزاوية لفهم Busmantsi. فالحياة هنا مسيَّرة إلى حد أن كل جانب من جوانب الوجود بالنسبة للمعتقلين تمليه سلطة متجانسة تفرض وجودها: - كيانٌ عصريٌّ أشبه بـ "بانوبتيكون- تعيشه ما السجناء يعيش حيث الشخصية هويتهم المحتجزين يسلب الكلي الكيان هذا "Panopticon، الشخصيات الكافكاوية في عالم لا أهمية لبراءتهم فيه.

كل هذا بمثابة شهادة صارخة على ما يمكن أن يحدث للفرد تحت الرقابة والسيطرة المطلقة للدولة والتي تظهر على شكل أبواب حديدية ومراقبة أمنية مستمرة عبر الكاميرات وأجهزة التنصت الإلكترونية والهيمنة الجسدية لرجال الشرطة، مما يؤدي لانعدام تام للخصوصية. هذا المركز أكثر من مجرد نسخة مظلمة من البانوبتيكون، وهذا العالم المصغر من الهيمنة الأمنية المطلقة تجعلني أعيش واقعياً أصداء تحذيرات جورج أورويل في رواية 1984، حيث: "الأخ الأكبر يراقبك" - ليس للحماية، بل للسيطرة.

يذكرني هذا الكابوس المستمر برواية "المحاكمة - Trail The" لفرانز كافكا، حيث يضيع الأفراد في متاهات البيروقراطية. لقد كان السطر الافتتاحي للكتاب هو "لا بد أن شخصاً ما كان يفترى على جوزيف ك.، كان يعلم أنه لم يرتكب أي خطأ، ولكن في صباح أحد الأيام، تم اعتقاله". و في مركز احتجاز مختلف قبل من لا تهم ويواجهون الكافكاوي الكابوس هذا في عالقة حياتهم المعتقلون يجد Busmantsi

الأجهزة الأمنية (وعلى رأسها جهاز الأمن القومي SANS)، دون أن يفهموا التهم أو منطق النظام. وهذا يعيد للأذهان مقولة المحقق السوفييتي الشهير لافرينتي بيريا والتي تقشعر لها الأبدان: "أرني الرجل وسأريك الجريمة"، حيث البراءة القانونية وفقاً للأجهزة الأمنية مجرد إزعاج يجب التحايل عليه. وقد تفاخر بيريا، رئيس الشرطة السرية الأطول خدمة والأكثر قسوة في عهد جوزيف ستالين في الاتحاد السوفييتي، بأنه يستطيع إثبات السلوك الإجرامي على أي شخص.

وتطبق هذه المبادئ، بما في ذلك اعتبار المحتجز مذنباً بشكل افتراضي، بشكل مماثل في بلغاريا، حيث يتم اتهام طالبي اللجوء بـ"تهديد الأمن القومي" دون دليل أو تهم جنائية، مما يعكس انتهاكاً للافتراض القانوني الأساسي المتمثل في افتراض البراءة حتى يتم إثبات الذنب بشكل كفاء. تتماشى هذه الممارسة مع مقولات تاريخية لشخصيات نظّرت لما أسميه "الجنايات الافتراضية" مثل قول اللورد براكسفيلد: "دعهم يأتونني بالسجناء، وسأجد لهم قانوناً"، أو المثل الروسي القائل: "إذا كان هناك عنق فهناك طوق"، أو ادعاء الكاردينال ريشيليو بأنه يستطيع شنق أي شخص بناءً على ستة أسطر من النص الذي كتبه. وفي داخل هذه الدائرة نعيش الرعب الوجودي الذي كتب عنه ألبير كامو، حيث "الحرية المطلقة تسخر من العدالة. والعدالة المطلقة تنكر الحرية".